

الشيخ مرتضى مطهري

رائد تجديد الفكر الإسلامي

د. محمد الصادق بوعلام



د. محمد الصادق بوعلاق

الشيخ مرتضى مطهري

رائد التجديد الإسلامي

فهرست

7مقدمة
9حياة الشهيد مطهري وشخصيته
14آثار الشهيد مطهري
19إحياء الفكر الديني عند الشهيد مطهري
24الخصائص العامة لفكر الشهيد مطهري
24الغزارة
25الأصالة
27الإبداع
28الانسجام
29الاستقلالية
29التصدي للتزوير الحداثي
31المعاصرة
31العالمية
32مواجهة الجمود والتحجر
35إحياء الفقه الإسلامي عند الشهيد مطهري
39نقد الشهيد مطهري للمؤسسة الدينية
43جولة في عناوين بعض كتب الشهيد مطهري
47هل نحن في حاجة إلى فكر الشهيد مطهري ؟
52قبسات من بعض أقوال الشهيد مطهري

مقدمة

الشهيد مرتضى مطهري، رضوان الله تعالى عليه، مفكر إسلامي معاصر، صاحب ذهن خصب مولد، وفكر نقدي جريء، اهتم باستئناف الحركة الحضارية للأمة الإسلامية عبر إصلاح المفاهيم ومحاربة الانحرافات الفكرية، وقد أطلق على هذه العملية اسم " إحياء الفكر الديني ". كما اهتم أيضا - من جملة ما اهتم به - بإشكالية " المعاصرة ومتطلبات العصر " مؤكدا على قابلية الفكر الإسلامي وقدرته على الاستجابة الكلية لتحديات العصر ومتغيرات الزمان ومستجدات المكان.

باستقراء كتابات الشهيد مطهري يتضح جليا أن " إحياء الفكر الديني "، ومجارات هذا الفكر لمتطلبات العصر، لم يكن مجرد كتب ألفها، وإنما هو سمة عامة لكل منتوجه الفكري. لقد كان، رضوان الله تعالى عليه، من المؤمنين إيمانا عميقا بضرورة أن يكون للإسلام مدرسة فكرية أصيلة ومستقلة تعمل على إحياء الدين وتجديد فهمه، ودفع الأمة لليقظة الفكرية والنهضة الشاملة.

ماذا قدم الشهيد مطهري للفكر الإسلامي ؟ ما هي الخصائص العامة لفكره ؟ أين يتموقع فكر مطهري في مرحلة ما بعد الربيع العربي ؟ ما الذي يميز طرح مطهري عن غيره من المفكرين ؟ هل الأمة الإسلامية في غنى أم في حاجة إلى فكر مطهري وإسهاماته ؟

تغوص هذه الدراسة في ثنايا فكر الشهيد مرتضى مطهري،
رضوان الله عليه، في محاولة منها الإجابة على هذه الأسئلة
الجوهرية بكل موضوعية وتجرد.

حياة الشهيد مطهري وشخصيته

قد نحتاج قبل التطرق لفكر ومنهج مرتضى مطهري للتعرف - ولو باقتضاب - على بعض جوانب حياته وشخصيته وأثاره.

الشهيد آية الله مرتضى مطهري، رضوان الله تعالى عليه، من مواليد سنة 1919 م بمدينة فريمان في محافظة خراسان الإيرانية. نشأ وترعرع في وسط عائلي متدين ومعروف بالعلم. أكمل الشيخ الشهيد دراسته الابتدائية عند والده، المرحوم الشيخ محمد حسين مطهري، الذي كان رجلاً ورعاً، تقياً ومؤمناً؛ وعندما بلغ عمره اثني عشر سنة (عام 1931 م) انتقل إلى مدينة مشهد المقدسة؛ وهناك التحق بحوزتها العلمية لدراسة مقدمات العلوم الإسلامية.

بقي طالباً للعلوم الحوزية في مشهد المقدسة إلى سنة 1936 م أين انتقل إلى مدينة قم المقدسة لإكمال دراسته الحوزوية. درس كفاية الأصول لدى آية الله السيد محمد داماد، والبحث الخارج لدى الآيات العظام : الخوانساري، الحجة والصدر. درس الفقه والفلسفة والعرفان والأخلاق عند الإمام الخميني، قدس سره، كما حضر دروس الفلسفة والحكمة الإلهية للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي والشيخ مهدي المازندراني، قدس سرهما، ودرس الأخلاق عند الشيخ علي الشيرازي الإصفهاني، رحمه الله. ربطته بالإمام الخميني، قدس سره، علاقة وطيدة تعدت حدود علاقة التلميذ بأستاذه، حيث كان الإمام

يزوره في غرفته في المدرسة الدينية، وقد كان لذلك أثر إيجابي كبير على تركيز شخصيته.

كما أن لتلمذ الشهيد مطهري عند العلامة الطباطبائي، قدس سره، دور كبير في صقل شخصيته العلمية والروحية. بالرغم من أن مدة الدراسة الرسمية عند العلامة كانت في حدود ثلاث سنوات إلا أن علاقة احترام متبادل ومودة جمعتهما وظلت مستمرة حتى استشهاده؛ ولعل من أحسن الأوسمة التي تلقاها الشهيد مطهري ما قاله العلامة الطباطبائي في حقه : " ... كان للمطهري نكاء خارق للعادة، فلم يضع كلمة سمعها. وهو علاوة على مسألة التقوى والإنسانية والمسائل الأخلاقية والتي كان يتمتع بها حقاً، كان يتمتع بنكاء واسع أيضاً. بحيث إن كل ما كنت أقوله في الدرس، لم يذهب هباءً وكنت واثقاً من ذلك قطعاً. وقد كان المطهري هو صاحب الرأي بعد كل محاضرة، وكان هو من يقرر، وأفضل تعبير في حقه هو أنه كان ذا وجهة نظر "

في سنة 1944 م ذهب إلى مدينة بروجرد لحضور دروس الأخلاق التي كان يلقيها آية الله العظمى السيد حسين البروجردي، قدس سره. بقي في مدينة بروجرد سنتين ليعود سنة 1946 م إلى مدينة قم المقدسة مع أستاذه السيد البروجردي.

توجه إلى طهران سنة 1953 م وهناك أسس " الجمعية الإسلامية للطلاب "، كما التحق سنة 1956 م بكلية العلوم الدينية بجامعة طهران ليحصل فيها على درجة الدكتوراه في الفلسفة، حيث سمي

نفسه ساخرا (نو الحياتين)؛ بقي مدرسا بنفس الكلية حتى سنة 1978 م. استغل، رضوان الله عليه، وجوده في الكلية وتأسيسه للجمعية الإسلامية للطلاب ليمارس نشاطه السياسي وجهاده ضد النظام الشاهنشاهي. أعتقل سنة 1964 م مع الإمام الخميني، قدس سره، إثر أحداث المدرسة الفيزيائية، ولم يطلق سراحه إلا بعد نفي الإمام الخميني إلى تركيا، أي بعد أربعة وثلاثين يوما.

لم يتوقف، رضوان الله عليه، عن نشاطه الجهادي بعد نفي الإمام، بل عمل على تشكيل " جمعية علماء الدين المناضلين " بموافقة الإمام الخميني، قدس سره، وبمساعدة ثلثة من المجاهدين الصادقين.

سعى في أواسط الستينيات من القرن الماضي إلى تأسيس حسينية " إرشاد " حيث أصبح عضو مجلس إدارتها؛ وهناك - وكذلك في مسجد " الجواد " وفي " مركز التوحيد " - ظهرت أفكاره الإصلاحية، ورؤاه التجديدية، ونظرياته الإسلامية؛ حيث تطرق شخصيا لإلقاء المحاضرات وإحياء المناسبات الدينية - فظهر للعيان تميز شخصيته وألمعيتها، فهو إلى جانب دقته العلمية والمعرفية، وامتلاكه لآراء تقدمية عميقة وأصيلة في مختلف مجالات العلوم الإسلامية، خطيب بارع، ومحاضر متمكن. تم إغلاق حسينية " إرشاد " سنة 1973 م وتم أيضا اعتقاله وإيداعه سجن طهران. بعد أن أطلق سراحه، واصل نهجه النضالي حتى منع من الخطابة على المنابر سنة 1978 م.

حملة الإمام الخميني، قدس سره، لدى إقامته ببافيس مسؤولية تشكيل مجلس قيادة الثورة، فكان من أوائل أعضاء مجلس إدارتها، وقد ظل محافظا على تلك العضوية المشرفة حتى استشهاده. كان، رضوان الله عليه، من المستشارين المقربين للإمام الخميني، قدس سره، وموضع ثقته.

مما تجدر الإشارة إليه أنه كان، رضوان الله تعالى عليه، يؤمن إيمانا قويا بوجود أن تكون الثورة مخصصة لروح الإسلام الأصيل عقائديا وفكريا ومنهجيا، لأنه كان يرى أن الهدف ليس ثورة فقط بل ثورة إسلامية، وذلك ما جلب له عدا وحقده جماعات كثيرة تظاهرت بالإسلام لكن كانت أفكارها ومنهجها بعيدة عن روح الإسلام.

في يوم الثلاثاء الأول من ماي 1979 م، على الساعة الثانية والعشرون والدقيقة العشرون - بعد أقل من ثلاثة أشهر على انتصار الثورة الإسلامية - وبينما كان خارجا من اجتماع، تعرضت له زمرة إرهابية (تدعى "الفرقان") فأردته برصاص الغدر شهيدا. هز نبا استشهاده وجدان وعقول كل الصادقين في إيران، حيث كانت تعلق على الشهيد آمالا كبيرة. قال الإمام الخميني، قدس سره، في شأنه: "إنه قدم للإسلام والعلم خدمات جليلة، وإنه لمن المؤسف حقا أن تقوم الأيدي المجرمة باقتلاع هذه الشجرة من المجامع العلمية والإسلامية وتحرم الجميع من ثمارها القيمة. لقد كان ابنا عزيزا لي، وخادما صادقا للشعب والقطر".

تورد زوجته الحالة الروحية العالية التي كان يتمتع بها اواخر حياته
فتقول : قبل ثلاثة ليالي من استشهاده، رأى مناما وكانت آخر ليلة
جمعة، استيقظ من النوم بحالة عجيبة فسألته ماذا حدث ؟ فقال :
رأيت مناما. كنت والإمام الخميني نطوف حول الكعبة فجأة لاحظت
الرسول صلى الله عليه وآله يقترب مني بسرعة، ولما كان يقترب
مني تراجعت على الوراء حتى لا أسيء احترام الإمام، وقلت : يا
رسول الله إن هذا السيد من أولادك، فاقترب رسول الله من الإمام ثم
عانقه، وبعدها اقترب مني وعانقتني. ثم وضع شفاهه على شفاهي
ولم يرفعها، وعندما استيقظت من النوم بحيث إنني مازلت اشعر
بحرارته شفاهه على شفاهي؛ ثم سكت هنيهة، وقال : إنني متأكد أن
شيئا مهما سوف يحدث قريبا "

آثار الشهيد مطهري

كان الشهيد مطهري غزيرا في عطاءه، عميقا في طرحه، لم يقتصر على فرع واحد من فروع العلم، بل ألم بكثير منها. اشتمل تراثه على الخطبة، والمحاضرة، والمناقشة، والتأليف، حيث ترك إرثا كبيرا من المؤلفات التأصيلية، والعقائدية، والفكرية، والتربوية، والاجتماعية، والسياسية، والثقافية ظل، رضوان الله عليه، في محاضراته، وبعوثه، وخطبه، ودروسه، ومؤلفاته محتفظا بجلال فكره، وقوة طرحه، ونفوذ حجته (وإن اختلفت أساليب التأدية) مع سلاسة في الإلقاء، وبلاغة في الإقناع، ومرونة في البيان، مما مكّنه من النفاذ إلى عقول ووجدان الناس بأرفع المفاهيم وأجل الأفكار، على اختلاف مراتبهم، ودرجات فهمهم؛ فقد خاطب كبار المفكرين من فلاسفة وعرفانيين، وجمهور الطلبة والمتعلمين، وأواسط المتقنين، والفقهاء ورجال الدين

لقد استطاع رضوان الله عليه، أن يجلي الخطوط العامة لنظرة الإسلام لكل من الإنسان والكون والحياة في عدة كتب ذات أهمية بالغة مثل: " التوحيد "، و" النبوة "، و" المعاد "، و" الإنسان والإيمان "، و" التصور التوحيدي "، و" الوحي والنبوة "، و" الإنسان في القرآن "، و" الحياة الخالدة "، و" النبي الأمي "، و" الفطرة "، " الإنسان والقضاء والقدر ". كما ناقش النظرية المادية وتفسيرها للتاريخ والمجتمع في عدة كتب منها: " الدوافع نحو المادية " و

المجتمع والتاريخ". طرح أيضا القضايا الفلسفية العميقة من خلال معالجة الواقع الاجتماعي، وذلك في كتبه: "أصول الفلسفة وطريقة الواقعية"، و"العدل الإلهي"، و"مقدمة في أصول الفلسفة للعلامة الطباطبائي"، و"نهضة المهدي (ع) في ضوء فلسفة التاريخ". تناول قضية المرأة ميرزا المكانة التي أعطتها الإسلام للمرأة والدور الخطير الذي تلعبه في المجتمع، وذلك في عدة مقالات وكتب مثل كتابي: "نظام حقوق المرأة في الإسلام" و"مسألة الحجاب". تصدى إلى الانحرافات الفكرية الدخيلة على الإسلام ووضع المفاهيم الإسلامية الأصيلة في عدة محاضرات وكتب مثل: "إحياء الفكر الديني" و"حرية الفكر والعقيدة في الإسلام". له كذلك في تفسير القرآن الكريم وربطه بالواقع الحياتي عدة دروس ومحاضرات وكتب مثل كتابي: "التعرف على القرآن" و"الإنسان في القرآن"؛ وفي التراث الإسلامي محاضرات وكتب مثل "في رحاب نهج البلاغة". تطرق إلى المسألة التربوية - التعليمية فألف كتاب "التعليم والتربية في الإسلام"، وقصص تربوية مبسطة مستقاة من السيرة والتاريخ الإسلامي جمعت في مجلدين (من جزأين) تحت اسم "قصص الأبرار". سلط الضوء كذلك على الإسلام كظاهرة سياسية من خلال كتب: "الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر هجري"، و"الإسلام في إيران" و"الإمامة والزعامة".

كان جهد الشهيد مطهري، رضوان الله عليه، متواصلا، وإخلاصه كبيرا، وعمله دؤوبا، استمر ما يقارب ثلاثين عاما، ترك أثارا تقدر

بعشرات الكتب والمؤلفات والمحاضرات؛ ويكفي الشهيد فخرا ما قاله في شأنه الإمام الخميني، قدس سره : " لقد ترك رغم عمره القصير أثارا خالدة كانت وميضا من وجدانه الواعي وروحه المفعمة عشقا للمدرسة، إذ حلل بقلم سلس وفكر قوي قضايا الإسلام وبين بلسان الشعب الحقائق الفلسفية، وبادر بلا قلق واضطراب لتعليم المجتمع وتربيته. فكل ما كتبه وقاله بلا استثناء آثار تعليمية وتربوية، وتفيد مواعظه ونصائحه المستمدة من قلب ملؤه الإيمان والعقيدة العارف والعامي وتسرهما ".

تورد مؤسسة " العلامة الشهيد مرتضى المطهري (ره) " أن أشرطة خطب ودروس الشهيد مطهري قد بلغت **786** شريطا، بالإضافة إلى **10** أقراص مدمجة تضم **306** ساعة من الخطب المتنوعة للشهيد. أما مؤلفاته، رضوان الله تعالى عليه(1)، فيمكن تصنيفها ، بصورة كلية إلى الأقسام التالية :

(: راجع كتيب صغير بعنوان " تعريف بمؤسسة الشهيد مرتضى مطهري (ره) العلمية (1)والثقافية "؛ تجميع وإنتاج الشؤون الدولية للمؤسسة

24 عنوان	1- أصول الدين والعقائد
17 عنوان	2- الفلسفة
عنوانان	3- التاريخ وفلسفة التاريخ
8 عناوين	4- سيرة العظماء والمعصومين
---	5- الفقه والحقوق
14 عنوان	6- الأخلاق والعرفان
18 عنوان	7- الاجتماع والسياسة
14 عنوان	8- تفسير القرآن
---	9- موضوعات ومقالات مختلفة

يشهد تراث الشهيد مطهري ومصنفاته عملية ترجمة واسعة حيث بلغ عدد المقالات والكتب المترجمة من مؤلفاته - حتى الآن - 400 مجلدا، تم ترجمتها إلى 32 لغة، وقد تم جمع 300 جزء منها في المكتبة التخصصية لقسم الشؤون الدولية في مؤسسة العلامة الشهيد المطهري.

يمثل الجدول التالي إحصاء لبعض المؤلفات المترجمة (2) :

(2) : راجع المصدر السابق

اللغة العربية	80 عنوانا
اللغة الإنجليزية	72 عنوانا
لغة الأردو	60 عنوانا
اللغة الاندونيسية	30 عنوانا
اللغة التركية	29 عنوانا
اللغة الاسبانية	29 عنوانا
اللغة الاذربيجانية	21 عنوانا
اللغة الفرنسية	17 عنوانا
اللغة البنغلادشية	14 عنوانا
اللغة الألمانية	13 عنوانا
اللغة الايطالية	13 عنوانا
اللغة الروسية	13 عنوانا
اللغة التايلندية	13 عنوانا

إحياء الفكر الديني عند الشهيد مطهري

للحضارة (حضارة أي أمة من الأمم) دورة وتسلسل، شروق وغروب، إذا أشرق نورها على أمة غاب عن أخرى، وإذا أضاعت نهار قوم زجت بآخرين في ظلمة ليل قاتم. تتداول الحضارة بين الأمم، وفي تداولها أمل في إمكانية استرداد ما ضاع واستعادة ما فقد. اهتم الشهيد مرتضى مطهري، رضوان الله عليه، بمسألة النهوض الحضاري واستئناف الحركة الحضارية للأمة الإسلامية؛ وكان منهجه واضحاً حيث آمن بأن هذه الحركة الإحيائية لا بد أن تبدأ من العودة إلى المفاهيم الإسلامية الصحيحة، ولا بد أن تمر عبر تطهير الأفكار وتنظيف النفوس من رواسب الانحرافات الفكرية، وقد أطلق على هذه العملية المفصلية اسم " إحياء الفكر الديني " .

لنصت إليه يوضح المقصود من إحياء الفكر الديني في كتابه " إحياء الفكر الديني " (3) حيث يقول : " المقصود من إحياء الفكر الديني ليس هو إحياء الدين نفسه، بل إحياء التفكير بشأن الدين، وبعبارة أخرى غسل الأدمغة مما تراكم فيها من انحرافات وتشويهات بشأن الدين " .

(: راجع " إحياء الفكر الديني "؛ مطهري، ترجمة محمد علي آذارشب، ط 1، طهران (14023 هـ، ص 13)

الدين الإسلامي عند الشهيد مطهري حي بذاته، نابض بطبعه، فما يجب إحياءه هو عملية التفكير بشأن الدين وليس الدين في حد ذاته. يتم ذلك - في منهجه - عبر إعادة تشكيل عقل المسلم لصياغته عقلا نظيفاً، نقياً وخال من كل الانحرافات والتشويهات.

راهن رضوان الله عليه على محورية الإنسان في عملية الخلق والإبداع وأنه أساس العمل وقطب رحى التغيير، وأن الإسلام لا يتعارض مع التقدم ولا يتنافى مع المدنية الحديثة.

بنى مشروعه التتويري على عدة مقولات أهمها " مقولة الإنسان " حيث نجح في التأسيس لرؤية كونية توحيدية إنسانية .

" الله في حياة الإنسان " " الإنسان والإيمان " " الإنسان والقضاء والقدر " " الإنسان والقرآن " " الإنسان في القرآن " " الإنسان الكامل " كلها عناوين كتب مهمة للشهيد مطهري ربط بها الإنسان بمفاهيم توحيدية جليلة ليسلط الضوء على موقع الإنسان من تلك المفاهيم ويشرح طبيعة العلاقة بينه وبينها. حتى في بحوثه العقائدية، لم يجعلها الشهيد مجرد بحوث كلامية تقليدية، بل نراه يسعى دائماً إلى ربط المسألة بالإنسان.

اجتهد في تقديم الإسلام بشكل عصري يستجيب لمتطلبات الواقع الذي يعيش فيه، حيث جمع بين " الأصالة " و " المعاصرة " (4). ثبت الأصل، وحارب الدخيل، وعمل على نفض الغبار عن

(: راجع مقال بعنوان " الشهيد مطهري وإحياء الفكر الإسلامي "؛ أ محمد علي (4)أذرشب، ثقافتنا، العدد 6

الأصيل وإبرازه بشكل عصري دون أن يفقده روحه أو يتلف مضمونه. كان في هذا المضمار صاحب ذهن خصب مولد وأميناً ومخلصاً للقرآن الكريم، لم يبتعد عن روحه ولم يتكبر عن صراطه المستقيم. أصل لكل القضايا التي تطرق إليها؛ فقد كان رضوان الله عليه ينطلق، في جميع دراساته، من إيمان مطلق وعميق بالقرآن الكريم، يحكمه في قضايا الفكر التي يعالجها، يجعله ميزان كل حقيقة يقرها، ولكنه في نفس الوقت كان يحتكم إلى العقل وينفذ إليه - بعيداً عن المسلمات الدينية المتوارثة - ليعود في نهاية المطاف إلى القرآن الكريم مستخلصاً العبرة ومستتظفاً الحكمة، وهذا ما نفتقده في كثير من البحوث في مجال الفكر الإسلامي (5).
أحسن هضم الثقافات العالمية وتسخيرها في الكشف عن مقدره الإسلام الكبيرة على بناء الشخصية الإسلامية المتوازنة والمكتملة في نظرتها إلى كل من الله والإنسان والكون والحياة.
بدا فكره نقدياً، جريئاً، خصباً وقادراً على توليد واستجماع الأفكار في نفس الوقت، للوصول إلى أبنية فكرية جديدة ومنتاسكة (6)....
أبنية بلغت من العمق والإحكام ما نقلت به الفكر الإسلامي إلى مستوى الدعوات العالمية، وما سدت به ثغرات عديدة كانت مفتوحة في جدار الحاوية الإسلامية.

(: راجع مقال بعنوان " السمات العامة لفكر الشهيد مرتضى المطهري ؛" عبد الكريم (15)الأشتر، 02 ماي / أيار 2010
(6) : حول هذه الفكرة راجع المصدر السابق

فكر الشهيد مطهري إن فكر إصلاحى، عميق، متحرر ونقدي مخالط لواقع المسلمين وقريب جدا من معاناتهم؛ يهدف أساسا إلى استنهاض الأمة الإسلامية، وتكوين الشخصية الربانية المسؤولة والقادرة على تمثل المفاهيم الإسلامية الصحيحة - الرائدة في أعماق وجدان الأمة - وحسن التعامل معها لتقدم للعالم نموذجا جديدا ومغايرا للنموذج الغربي في فهم الحضارة الإنسانية وصياغة شبكة علاقات جديدة بين كل من الله والإنسان والكون والحياة. كما يهدف أيضا (فكر مطهري) إلى النهوض بالمجتمع الإسلامي وتقديم الإسلام بلغة العصر على أساس :

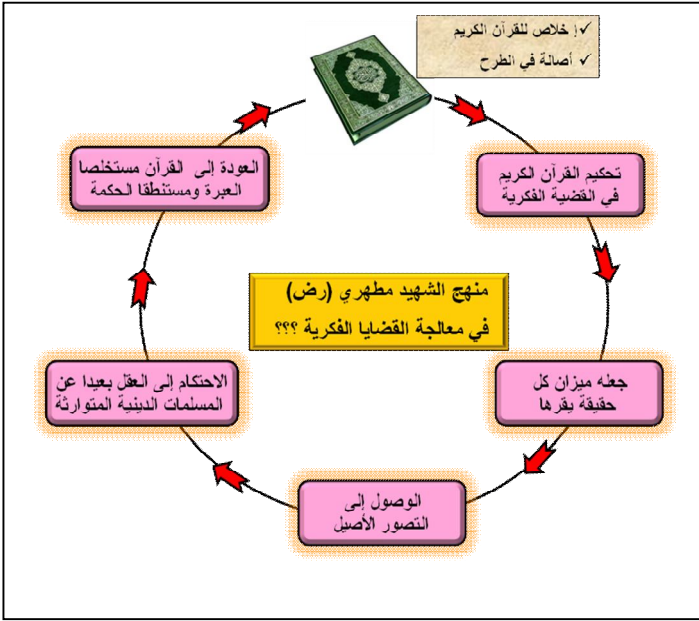
✓ التمسك بجمال العقيدة الصافية؛

✓ نفي مظاهر الجمود التي رافقت (وترافق) مسخ وتشويه المفاهيم الإسلامية الأصيلة في المجتمعات الإسلامية؛

✓ تقويم مناهج التفكير والعودة إلى الإسلام الأصيل عبر تصحيح المفاهيم الملوثة السائدة في الأذهان (مثل الاستهانة بالعمل، التواكل، الركون إلى الأوهام....)؛

✓ الدفاع عن الإسلام في وجه الدعوات الهدامة.

كان رضوان الله تعالى عليه صاحب جهد متواصل وعتاء غزير استمر قرابة ثلاثين سنة من أجل إحياء الإسلام عقيدة وفكرا ومنهجا، استنهاض الهمم، تحريك الطاقات، كنس الأفكار والمفاهيم الدخيلة وتثبيت الأصيلة وصياغة عقل مسلم جديد.



الخصائص العامة لفكر الشهيد مطهري

يتسم المشروع الفكري للشهيد مرتضى مطهري، رضوان

الله تعالى عليه، بجملة من الخصائص، نستعرض أهمها :

الغزارة

لم يدع الشهيد مطهري حقلا معرفيا إلا أدلى فيه دلوه، ولا مجالاً علمياً إلا قال فيه رأيه، ولا مساحة للفكر إلا سلب عليها الضوء، ولا قضية تهمة نهضة الأمة إلا أثارها، ولا مفهوماً إلا جلاه مخرجا منه الدخيل ومثبنا فيه الأصيل لقد كان، رضوان الله تعالى عليه، غزير العطاء حيث عدت مصنفاته أكثر من مائة بين مجلدات وكتب متوسطة ورسائل صغيرة. كما تتوع تراثه ليشتمل على الخطبة، والمحاضرة، والمناقشة، علاوة على التأليف. ترك الشهيد مطهري إرثا كبيرا من المؤلفات التأصيلية، والعقائدية، والفكرية، والتربوية، والثقافية، والسياسية

مع ضخامة عطائه وغزارة فكره - حيث تطرق لجميع قضايا الأمة الإسلامية، عبر جميع فروع العلوم، محاولا تقديم الدواء الناجع - إلا أن العنصر الجامع لهذا المشروع الفكري الضخم، والفلك الذي يدور فيه هو " الإسلام المحمدي الأصيل وتقديم البديل الإسلامي " نعم، إن الدارس للمشروع الفكري للشهيد مطهري يتضح له جليا أن مثله كمثل عقد ثمين

متراسف الحبات؁ يشدها جميعا خيط رفيع هو : تقديم البديل الإسلامي في كل مجالات الحياة؁ عبر طرد الأفكار الدخيلة وتنشيت الأصيلة؁ والتصدي للمفاهيم الملوثة وتعويضها بأخرى صافية نظيفة؛ لئنصت إليه في مقدمة كتابه " العدل الإلهي " (7) يقول : " وقد كانت كتبي تارة فلسفية؁ وأخرى اجتماعية؁ وثالثة أخلاقية؁ ورابعة فقهية؁ وخامسة تاريخية؁ مع أن هذه المواقع متغايرة فغن هدف واحد يجمعها؁ وغاية واحدة تشملها؁ وتلك هي الإسلام؁ والإسلام وحده "

الأصالة

لم تكن أطروحات الشهيد مطهري وأفكاره منبته عن جوهر الإسلام ولا بعيدة عن روحه؁ بل كانت ذات جنور ممتدة إلى عمق أعماق الإسلام المحمدي الأصيل. فالشهاد لم يكن متطفلا عن دائرة العلوم الشرعية ولا غريبا عن مناخها وأجوائها؛ بل هو نابغة من نوابع الحوزة العلمية؁ طوى بامتياز جميع مراحلها الدراسية : فقها؁ وأصولا؁ وأخلاقا؁ وفلسفة؁ وعرفانا؁ ومنطقا كما حضر البحث الخارج على يد فطاحل الأساتذة وأكابر علماء عصره.

هذا التكوين الحوزوي العالي جعل الشهيد يكون على اطلاع واسع؁ وعلى دراية كبيرة؁ بمصادر الفكر الإسلامي من قرآن

وحديث وهذا النبوغ المبكر والتلمذ على كبار علماء
الحوزة جعله يمتلك ناصية الاستنباط، ويجيد استعمال آليات
البحث، ويحسن استنتاج النص، بما يتطلبه من أدوات :
حديث، رجال، أصول.

تنبعث أطروحات مطهري أساسا من مصدر الفكر الإسلامي
(النص الديني) وليست مجرد آراء لقيطة مسقطة، ولا أفكار
دخيلة منبثة فرضها على النصوص، بل استلها من الحاوية
الإسلامية الأصيلة، واستنطقها من النص الديني، بما امتلكه
من معرفة جيدة لهذا النص، وبما اكتسبه من حسن التعامل مع
هذا النص.

لقد خول التكوين الحوزوي العالي للشهيد معرفة النص معرفة
جيدة، وامتلاك آليات خلاقة لفهم هذا النص وحسن التعامل
معه واستنطاقه، والتمكن من معيار واضح ومطمئن لحسن
إدراك الوحي الإلهي وحقيقة الدين؛ كما ساهم التكوين
الأكاديمي العالي للشهيد من التمكن من مناهج، ووسائل،
وطرق ساعدته على توظيف روح هذا النص وتطوير جوهره
حتى لا يكون هذا البناء الفكري والمشروع الحضاري منفصلا
على الواقع ومنقطعا عن روح العصر.

من هذا المنطلق يكون فكر الشهيد مطهري فكرا أصيلا
محصنا من التحريف، مبرئا من التزييف، ومحميا من الانفعال
بالمدارس الفكرية العلمانية والمادية ذات البريق الساطع

والباطن المظلم. فمثل فكر الشهيد مطهري كمثل شجرة أصلها ثابت ونابع من النص الديني، وفرعها ممتد وملق بظلاله على كل قضايا ومسائل الحياة.

الإبداع

رأينا فيما مر بنا أن العطاء الفكري للشهيد مطهري كان غزيرا حيث لامس كل مجالات العلوم، وتطرق إلى جميع القضايا والمسائل، مصرا على تقديم أجوبة أصيلة لكل تحديات الفكر وإشكاليات العصر، وعلى إزالة الشبهات العالقة في أذهان الناس - وخاصة الشباب - حيث كان هدفه تقديم الإسلام بشكل يرفع تحديات العصر ويستجيب لمتطلبات الواقع. لكن الأهم من ذلك كله أن الشهيد لم يمر على المسائل والقضايا مرور الكرام، ولم يعالجها مجرد معالجة سطحية عابرة، بل أبدع في إثارتها، ونجح في كيفية التطرق لها والتعاطي معها، وأذهل الجميع في استخراج الدرر والجواهر منها، جامعا في ذلك بين عمق النظرة، وسلاسة الأسلوب، وإحكام المعرفة، والإفراط في الجدية ووثوق الجراءة.

لم يتطرق، رضوان الله تعالى عليه، إلى أي مسألة طرحها بشكل سطحي، بل أعطاها (أي مسألة) حقها، عالجها من جذورها، وتطرق إلى تداعياتها ومخلفاتها على قضايا جوهرية أخرى؛ فكان متمكنا من حيثياتها، جديا في التعاطي معا

وجريئاً في معالجتها، بل والأكثر من ذلك، أنه مع كل معالجة لمسألة، يفتح آفاقاً معرفية واسعة تمهيدا لمعالجة مسألة أخرى. من جوانب إبداع " الفكر المطهري " إن أن هذا الشمول لم يسقط الشهيد في فخ السطحية، وشراك المعالجات الفوقية، بل جمع رضوان الله تعالى عليه بين عمق الرؤية وشمولية الطرح، وهما خاصيتان قلما تجتمعان في عالم واحد.

الانسجام

بالرغم من أن الشهيد مطهري قد تصدى بإبداع لمجمل المسائل الفكرية والقضايا الحياتية التي تهم الإنسان، إلا أن هذه الشمولية، وغزارة إنتاجه الفكري لم يكونا على حساب انسجام رؤاه، وتتسق أفكاره. لم يدع الشهيد إلى فكرة في مجال معين فندها في مجال آخر، ولم يتبن مفهوما في موضع يتعارض مع مفهوم آخر قال به في موضع آخر.

إن الدارس لفكر مطهري يجد نفسه أمام بناء فكري محكم، متكامل، منسجم ومتناسق : فما دعا إليه في العقائد ينسجم تماما مع ما تبناه في نظرية المعرفة، وهو يتلاءم كلياً مع ما قال به في الأطر الفلسفية، ويتناسق مع رؤاه في السياسة والاجتماع والاقتصاد الخ. لقد بنى، رضوان الله تعالى عليه، صرحاً فكرياً متكاملًا ومنسجمًا لأنه يمتلك نظرة استشرافية متكاملة ينطلق منها - في أي موضوع يتطرق إليه - فتعكس عطاءً فكرياً منتظماً يوافق بعضه بعضاً.

الاستقلالية

الشهيد مطهري، رضوان الله تعالى عليه، مسكون بهاجس الاستقلال الفكري الذي يعتبره أهم من أي استقلال آخر؛ يقول : " ومن هنا أصر على الاستقلال الفكري أكثر من الاستقلال السياسي وإسقاط النظام والاستقلال الاقتصادي، والثورة الإسلامية؛ هذه المفاهيم والإنجازات الكبيرة لن تصل على غايتها ما لم تكن لنا هويتنا الثقافية المستقلة، وفي هذا المجال علينا أن نثبت أن رؤيتنا الكونية ومنظومتنا الفكرية الإسلامية لا تنتمي لا إلى الغرب ولا إلى الشرق؛ ولا تحتاج إلى أي من الطرفين بل هي منظومة فكرية لها كياناتها المميز المستقل، الأمر الذي لا يروق لبعض الناس "

التصدي للتزوير الحدائي

ينطلق الشهيد مطهري، رضوان الله تعالى عليه، من مؤسسة الاجتهاد... مؤسسة يمتلك نواميسها، ويجيد قاعدة الاستنباط فيها وقراءة النص، واستخلاص الأحكام؛ ومن هنا هو قادر على ان يحاكم الكثير من الأفكار، ويبيدي رأيه في الكثير من المشاريع؛ فنراه يواجه بشدة التزوير الحدائي أو ما يسمى في الساحة الإيرانية بالالتقاطية الفكرية.

لقد تصدى بجرأة وحزم إلى الأفكار الإنتقافية التي حاولت تحريف الإسلام وتشويه مبادئه، وشن حربا ضروسا على تياراتها.

والإلتقاط الذي تصدى إليه الإنتاقين :

• **التقاط غربي** : شكل مرضا عضالا نخر - ولا يزال ينخر - جسد الأمة، وتمظهر - ولا يزال يتمظهر - في الانبهار بقشور الحداثة الغربية، والسقوط فريسة سهلة في فخ الأفكار الزائفة والفضفاضة التي تتبنى مقولات الحرية والعقلانية والديمقراطية، وما ينجر عنها من خلفيات كارثية.

• **التقاط شرقي** : بفكره الماركسي، وما يحمله من سموم تدفع نحو اتجاهات عانت الأمة من ويلاتها عقودا. بعبارة أخرى كان يهدف - من جملة ما يهدف إليه - إلى التصدي إلى الأفكار الإنتقافية وإلى إعادة تشكيل عقل المسلم لصياغته عقلا نظيفا، نقيًا، خاليا من الانحرافات، وبعيدا عن التشويهاة؛ لذلك مثل جزءا مهما من مصنفاته ردودا علمية ومنهجية على شبهات أثرت ضد الفكر الإسلامي، وقد تجلى ذلك بوضوح في " نظام حقوق المرأة في الإسلام"، " الدوافع نحو المادية"، " الإنسان والقدر"، " الإسلام وإيران" وغيرها من الكتب الأخرى.

المعاصرة

بذل الشهيد مطهري، رضوان الله تعالى عليه، مجهودا جبارا ليقدم الإسلام بشكل عصري يستجيب لمتطلبات الواقع ويساير وقع العصر، حيث جمع بين " الأصالة " و " المعاصرة " بطريقة لم يسبقه بها أحد. ثبت الأصل، وحارب الدخيل، وسعى إلى إبراز الأصل بشكل عصري دون أن يفقده روحه أو يثقله مضمونه؛ لئنصت إليه في كتابه " الإسلام ومتطلبات العصر " يقول : " إنني ومنذ عشرين عاما كلما أمسكت بالقلم في يدي وكتبت كتابا أو مقالا استهدفت هدفا واحدا، وهو حل المشكلات والجواب على الأسئلة التي تدور حول محور واحد : " الإسلام في هذا العصر " "

العالمية

حلق الشهيد مطهري، رضوان الله تعالى عليه، في بحوثه ودراساته شرقا وغربا، حيث طاف بالفلسفات القديمة والحديثة، واتصل بثتى الثقافات وجميع فروع العلوم الإنسانية والتجريبية، وكانت همته عالية في تقديم الإسلام كنظام متكامل للحياة. استطاع بذلك أن ينقل الفكر الإسلامي إلى مستوى الدعوات العالمية والمعاصرة . ومهما صفتان تنوب بفضلها كل الفوارق المذهبية وتنحسر كل النعرات الطائفية... مع فكر الشهيد مطهري تنتفي المذهبية، وتنوب الطائفية، وتمحى الخصوصية لينصهر الجميع في فكر عالمي منفتح على كل

المدارس، والمذاهب، والآراء، والروافد فكر قادر على التنقل السلس بينها جميعا، بل مستوعبا إياها ومحولها إلى عامل للبناء والتقدم نحو معرفة الحقائق

مواجهة الجمود والتحجر

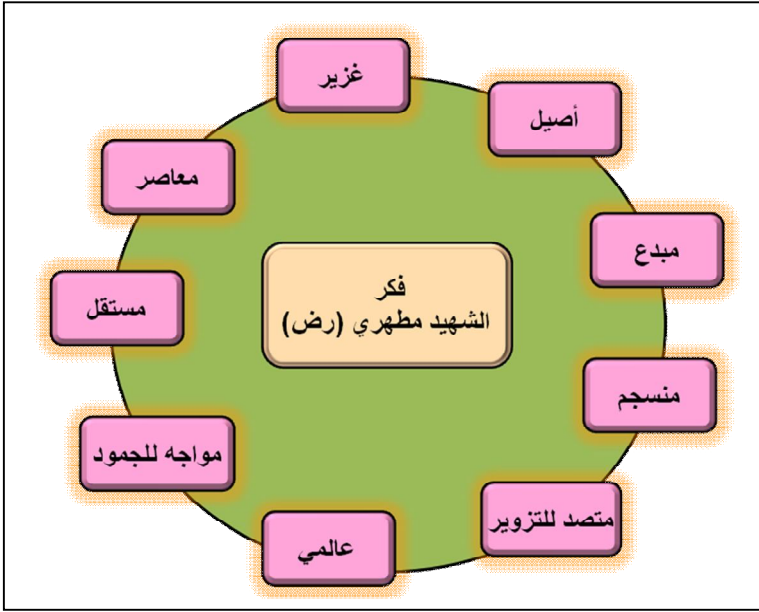
تفطن الشهيد مطهري، رضوان الله عليه، إلى خطورة الجمود والركود، وسلبية الانغلاق والتحجر في الفكر والفقہ حيث تساهم هذه الظواهر المرضية في تكييل العقل وتحجيم دوره، وصنع منه قوالب جاهزة، تقتل روح التحرر وتعرقل عقلية المبادرة، وفي ذلك سحق للإسلام وتدمير للدين وللهوية؛ فشن - بجرأة عظيمة - وواجه - برباطة جأش كبيرة - مظاهر التزمت والتشبث بقشور الماضي، فكان نقده لاذعا لكل الأغلال التي تعيق تقدم الأمة، ولجميع مظاهر الجمود والركود، ومن ذلك نقده :

- للفكر الإخباري وأسلوبهم في التعامل مع النصوص فهما، واستنطاقا، وتوظيفا؛ وتجميدهم لعامل الزمن. بين موقفه من هذا الخطر في كتابه المرجع " الإسلام ومتطلبات العصر".
- لبعض الحركات الإسلامية التي تتبنى ظاهريا الأطروحة الإسلامية إلا أنها بعيدة كل البعد عن الخط الإسلامي عقيدة، وفكرا، ورؤية، ومنهجاً،

وتصورا، وسلوكا. فكان كتابه "الحركات الإسلامية في القرن الأخير" خير رد على الزيع والتكذب عن الصراط الرباني القويم.

● للعديد من النصوص " التراثية " الغير ثابتة في الملحمة الحسينية والمكرسة لمنطق الخرافة. دفعته عقليته التحررية، وجرأته الإيمانية للتصدي لهذه المسألة الحساسة وإبداء رأيه في ما نقل عن طريق الخطباء، فكان كتابه " الملحمة الحسينية " مرجعا للتحرر الواعي والرصانة الإيمانية.

● للحوزة العلمية لعدم مجاراتها لواقع الزمن ومستجدات الحياة، في محاولة منه صياغة خط اجتهادي جديد متفاعل مع الزمن، مخالط للواقع، وقريب من هواجس ومشاعل المسلمين، ولتكوين علاقة جديدة بين المرجعية والمقلدين علاقة رافة ومسؤولية، ومحبة واحترام، خالية من الاستعلاء وبعيدة عن التجريح.



إحياء الفقه الإسلامي عند الشهيد مطهري

لم يكن الفكر الديني المجال الوحيد الذي أبدع فيه الشهيد مرتضى مطهري، رضوان الله تعالى عليه، بل سطر إشعاعه على مجالات معرفية وفكرية عديدة، مثل الفقه الإسلامي أبرزها.

الشهيد مطهري هو ابن المؤسسة الدينية، وهو قطعا علما من أعلام الاجتهاد في المنظومة الفقهية، وإن لم يصرح به - فهو كذلك - لم يشتغل كثيرا في الجانب الفقهي لأنه كان يرى أن الأولوية للفكر وللمشاريع الفكرية؛ لكن فيما كتب من تعليقات هنا وهناك، يستكشف الدارس دقة، وبراعة، وذوقا فقهيا رفيعا قل وجوده.

يعتبر الشهيد مطهري - مع قلة ما كتب في المجال الفقهي - من أبرز وألمع المجددين المعاصرين للفقه الإسلامي حيث طال مشروعه التجديدي كل أبعاد الفقه : منهاج وبنية ومعرفة ومقصدا

....

بذهنية خصبة مولدة، تقطن الشهيد مطهري إلى خطورة النزعة السلفية الإخبارية في الفقه الإسلامي التي تكبل العقل وتصنع منه قوالب جاهزة، وإلى سلبية الدوغمائية الفوقية الانغلاقية التي تقتل روح التحرر وتعرقل عقلية المبادرة. نراه يتصدى لهذه الظاهرة بكل قواه ويوجه إليها سهام الانتقاد اللاذع إيمانا منه بأن الفهم الخاطئ للنصوص الدينية كارثة كبيرة.

موقف الشهيد شديد جدا لمسألة فهم النص حيث نادى بضرورة تخطي هذه الحالة الرديئة : حالة الجمود، والركود والتحجر. في نقده لظاهرة الخوارج مثلا (وهي ظاهرة تكفيرية ظهرت في عصر الإمام علي بن أبي طالب)، نراه يخصص عناوين معتبرة من كتبه : " الإسلام ومتطلبات العصر"، " العدل في الإسلام"، " الإمام علي بقوته الجاذبة والدافعة " وغيرها من الكتب. يتحدث بألم وحرقة على هذه المصيبة التي حلت بالأمة، وهذه الكارثة التي نخرت وعي الأمة في تلك اللحظة التاريخية الحساسة، وكيف -ولأسف - انبرى مجموعة من هؤلاء الذين تبدو عليهم صفات العبادة والزهادة والتدين والخشوع، يبثون سموما قاتلة في جسد الأمة بألسن تتقاطر عسلا. يقول الشهيد مطهري بحرقة : " الويل للمجتمع الإسلامي إذا ظهر بينهم متدينون جامدون، جافون، جهلة، لا يحيون عن سبيلهم، فيندفعون يعضون هذا وذاك، فأبي قدرة تستطيع أن تقف في وجه هته الأفاعي التي لا ينفع فيها سحر ولا حيلة، اي روح واثقة تلك التي تمسك السيف لتنزل على هامة أولئك الذين امتلكوا قداسة مبالغة".

تظن أيضا إلى محاولات الاستكبار العالمي للولوج إلى عمق الإسلام - قصد هدم أركانه وتقويض بناه - من باب الدوغمانية الانغلاقية، فاجتهد رضوان الله عليه في ضخ روح تجديدية في الفقه الإسلامي وفي زرع عقلية النقد البناء التي تهدم الزائف لتبني الحقيقي.

في واقع الأمر، لم يحمل الشهيد مطهري للفقهاء مسائل جديدة بل سعى إلى خلق مناخ جديد قادر على أن ينفخ في الموضوعات القديمة روحاً جديدة تفتح لها آفاقاً رحبة لتخرجها من ضيق الانغلاق والتحجر إلى سعة الانفتاح والمرونة.

ما يميز الشهيد مطهري عن غيره - في التطرق إلى المسائل الفقهية - هو منهجه الجديد والمميز. يبني " المنهج المطهري " أساساً على القراءة التاريخية للفقهاء الإسلاميين. وهي قراءة غابت عن التراث الفقهي لقرون، إذا استثنينا بعض المحاولات المحدودة والمتباعدة زمنياً (8).

تعامل مطهري مع الفقه كظاهرة حية وذات تفاعل مستمر مع الزمان والمكان ظاهرة مخالطة لواقع المسلمين وقريبة جداً من مشاغلهم وهواجسهم ظاهرة لم تولد من فراغ ولم تنتزل من أعلى ظاهرة ينعدم فيها السكون وينتفي فيها الثبات ولا تميزها إلا الحركة. فالمقولات الفقهية في " المنهج المطهري " كالمسكة التي لا تستطيع أن تحيي خارج الإطار الزمكاني؛ لكي تحيي عليها أن تقيم مع الواقع علاقة تفاعلية جدلية، وفي تلك العلاقة يكمن سر التجديد والتجدد، ويرتفع الفقه الأصيل عن كل الدعوات المذهبية والنزعات الطائفية التي تجذب إلى الخلف وتعوق الانطلاق إلى الأمام.

(: راجع مقال بعنوان " الفقه الإسلامي وتحديات التجديد عند الشهيد مرتضى مطهري (8)، رابطة الحوار الديني، 23 - 05 - 1431

إذا كان للفلسفة الصدرائية حضوراً وتميزاً في قرننا هذا، فإن الشهيد مطهري، عبر أستاذه العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، يعد خير امتداد لها (9) . بحكم انتمائه إلى هذه المدرسة العريقة، حاول رضوان الله عليه، في تطرقه إلى المسائل الفقهية، أن يكسر كل الحواجز التي من شأنها إذلال العقل وتقزيم دوره. حارب مطهري الجمود والركود المتمظهر خاصة في العقل السلفي الإخباري، المبالغ في الانشداد إلى التقليد، والمتعامل مع المسائل ككائنات جامدة وثابتة عبر الزمان والمكان من الممكن استتساخها وإسقاطها على المستجدات المعاصرة المستحدثة. من هذا المنطلق كان موقفه من المظاهر المتطرفة للفكر الإخباري سلبي جداً، حيث رفضه ودعا إلى مراجعة جذرية للمفهوم العتيق للاجتهاد، وتعويضه بمفهوم جديد لاجتهاد حركي، لصيق بالواقع، ومتكامل مع العقل.

(9) : حول هذه الفكرة راجع المصدر السابق

نقد الشهيد مطهري للمؤسسة الدينية

النقد ممارسة تنويرية بامتياز، لأن النقد وحده الكفيل بتحريك الواقع وباكتشاف مواطن الخلل، وبالتالي يمثل مقممة لتجاوزه نحو واقع أفضل. تطورت هذه الممارسة التنويرية مع الشهيد مطهري لتبلغ أوجها.

كان ، رضوان الله تعالى عليه، يرى أنه ليس صحيحا أن جميع المشاكل قد حلها القدماء، بل مازالت آلاف الألغاز في كل المجالات وسائر العلوم الإسلامية. قام العلماء الكرام بحل الكثير منها، ولكن بقي الكثير منها على قائمة الانتظار. هو يعتقد بأن المجتهد الحق هو الذي يستجيب على أسئلة العصر. كان، رضوان الله تعالى عليه، يعيش ألم المؤسسة الدينية، ويتفاعل مع مشاكلها، فنادى بجملة من الأفكار الإصلاحية الجريئة والثورية.

الفقه الذي دعا إليه مرتضى مطهري، رضوان الله عليه، فقه مترفع عن الخلافات المذهبية له من الواقعية والشفافية ما يمكنه من التنقل السلس بين مختلف المدارس الفقهية، ومن القدرة والشفافية ما يسهل عليه استيعاب اتجاهات درس الفقهي عند شتى المذاهب الإسلامية، بل ومن النزاهة ما يجعل به الاختلافات عامل دفع لاستجلاء الحقيقة (10) . بهذه الروحية المخلص، وهذه العقلية

(10) : راجع المصدر السابق

النزيهة دعا إلى بناء جسور اتصال وتواصل بين جميع المدارس
الفقهية المختلفة.

لقد وعى هذا الشيخ الشهيد واقعه وعيا جيدا فلاحظ تطور العلوم
وتشعب فروعها، وأحس بجسامة التحديات الملقاة على عاتق فقهاء
هذا العصر، كما اقتنع بأنه من غير الممكن أن يستوعب فقيه هذا
العصر هذا الكم الهائل من المستجدات المستحدثة، والعدد الكبير
من التراكمات الفكرية والاختصاصات العلمية، فتخلى عن الفكرة
التقليدية القائلة بوجود فرد واحد - يمثل استثناء العصر -
يكون قادرا على استجماع جميع التخصصات الفقهية وكل الفروع
المعرفية، فكان من الدعاة إلى تكوين " مجالس فقهية " ذات مستوى
رفيع من التخصص في الفروع الفقهية، تكون قادرة على إقامة
وإدارة حوار جاد، رصين وبناء بين الباحثين والفقهاء (على
اختلاف مدارسهم ومشاربهم) هدفه استجلاء الحقيقة.

بدعوته إلى تكوين " المجالس الفقهية " - التي تعوض الفقيه
الموسوعة - يكون الشهيد مطهري قد سبق الدوائر العلمية الغربية
التي أصبحت تدعو إلى فرع جديد من العلوم تطلق عليه (Les
sciences cognitives)، وهي مجالس ذات تخصصات دقيقة
تجمع كبار المتخصصين في فروع علمية مختلفة (رياضيات،
فيزياء، سيكولوجيا، طب، اجتماع) لبحث موضوع ما.
يتطرقون لنفس الموضوع من زوايا تخصصية مختلفة، فتكون
الجدية والموضوعية وملامسة الحقيقة أهم ما يميز نتائج بحثهم.

في صياغته لخط اجتهادي جديد، تطرق الشيخ الشهيد بجرأة وإخلاص لظاهرة الفتوى وثلاثية : الواقع والمصلحة والاحتياط(11)، حيث لم يقف رضوان الله عليه عند حدود المكونات المعرفية للاجتهاد الفقهي، بل تعدها ليلاص بلطافة تجديدية، وجرأة إيمانية العلاقة بين المجتهد والمقلد. لم يكن الشهيد مطهري يؤمن بعلاقة جافة، تلقينية وذات اتجاه واحد (فوقي) بين المجتهد والمقلد بل اعتبرها علاقة جدلية، متحركة وذات اتجاهين، قوامها الانفعال والفعل. هي علاقة انفعالية لأنه كان يرى أنه من حق المقلد الوعي نقد المرجعية نقدا أميناً، رصيناً، خلوقاً وخال من كل تعصب وتجريح، ليقابله صدر رحب من المرجعية وتواضع إيماني يأخذ بعين الاعتبار هذا النقد ليدفع به حركة الاجتهاد إلى الأمام. وهي علاقة فعلية تؤثر فيها الفتوى في الواقع على أساس المصلحة ولا تتأثر (الفتوى) بالواقع عبر كم هائل من الاحتياطات، وإن كان الشهيد يرى أن هذه الاحتياطات ضرورية مادامت لم تتجاوز الحد المعقول (12).

انتقد الشهيد التنظيم المالي للمؤسسة الدينية؛ وهو حين ينتقد يحاول أن يصلح، لأنه يعرف جيداً دور المؤسسة الدينية وخطورة موقعها. دعا بإصرار إلى الاستقلال المالي لهذه المؤسسة، وإلى ضرورة أن تتحرر من العلاقات مع السلطة والتبعية لها ولكن أيضاً التبعية للناس، يقول رضوان الله تعالى عليه : " إن الجماعة الدينية يجب أن تربي مجموعة

(11) : راجع المصدر السابق

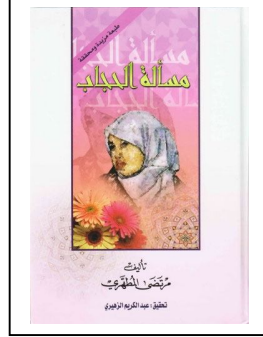
(12) : راجع المصدر السابق

من الخطباء والوعاظ وتضع لهم برنامجا صحيحا وتؤمن لهم معيشتهم لكي لا يأخذوا أجرا على تبليغ رسالتهم. وهؤلاء سوف يتمكنون من أن يفكروا بحرية دون أن يرتبطوا بجهة فيكون ذلك حافزا على أن يحذو حذوهم. إن جهاز الوعظ والإرشاد عندنا مثل الجماعة الدينية ضعيف في مكافحة جهل العامة".

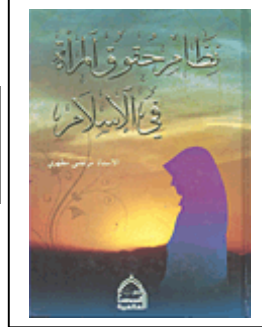
بهذه العقلية التحررية والجرأة الإيمانية، والإخلاص الرباني قارع الشهيد مطهري مصادر الركود والجمود، وجميع أشكال التعقيم والتجهيل؛ وسعى لتكوين علاقة رافة ومسؤولية، ومحبة واحترام بين المرجعية والمقلدين ... علاقة خالية من الاستعلاء وبعيدة عن التجريح، كما دعا على الرفع المادي والمعنوي من مستوى الحوزة العلمية.

جولة في عناوين بعض كتب الشهيد مطهري

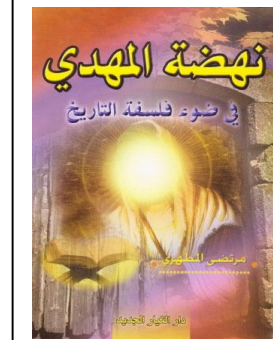
محاولة لطرح نظام حقوقي إسلامي
أصيل قائم على المقولات الإسلامية،
وبعيد كل البعد عن التشويهات الغربية



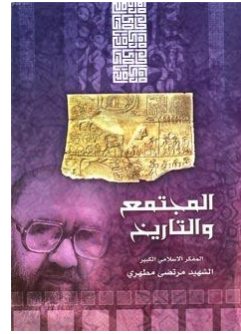
تصدي للانحراف الغربي حول حقوق
المرأة



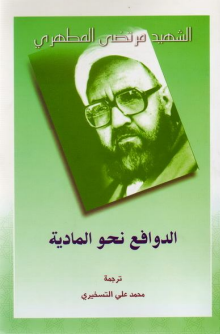
نقد للتفسير الآلي والنظرة الديالكتيكية
في تفسير التاريخ وللأفهام الخاطئة
لانتظار، والتأسيس لروى إسلامية
إنسانية في فهم التاريخ وفهم
المستقبل البشري



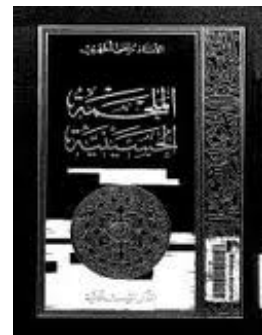
مواجهة الالتقاط الشرقي ومحاولة
لتأسيس مشروع يتجاوز التأثر
بالأطروحات الماركسية والمادية
لتفسير التاريخ



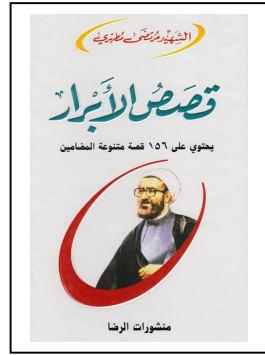
نقد عميق لأصول الفلسفة الغربية
وشرح دقيق للدوافع التي تجعل الناس
يبتعدون عن الدين



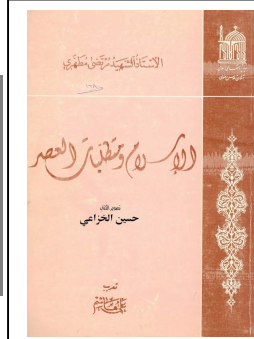
إنكار لبعض المسلمات المبتوثة حول
قضية الإمام الحسين (ع) ونقد للكثير
مما يروجه خطباء المنبر الحسيني
مما لا أصل ولا أساس له

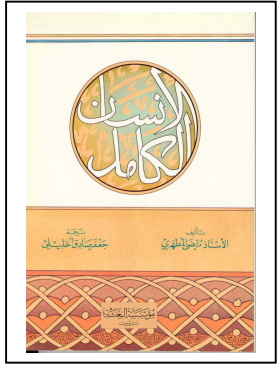
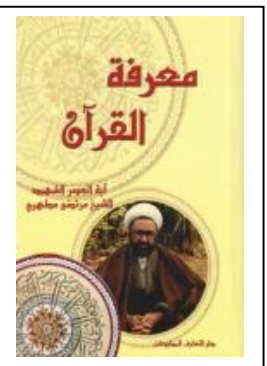
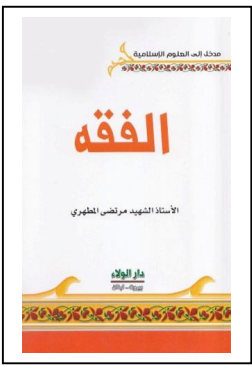
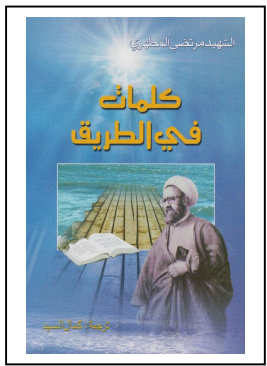
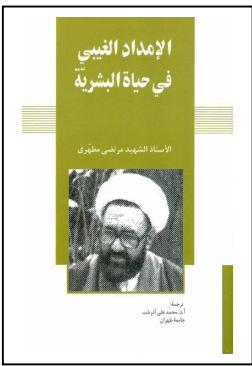
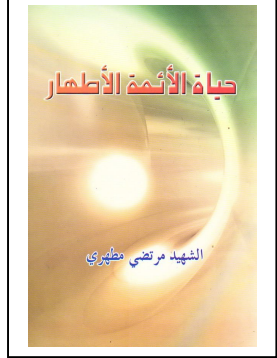
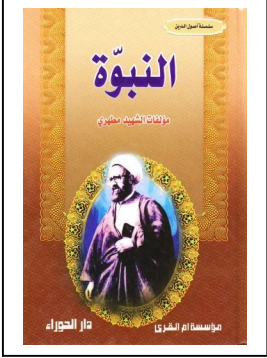
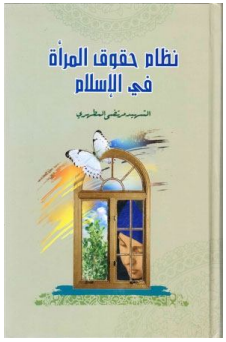


156 قصة تربوية مبسطة – للأطفال -
مستقاة من السيرة والتاريخ الإسلامي



نقد للفكر الإخباري ولأسلوبهم المتبع
في فهم النصوص وإلغاء اعتبار
الزمن؛ ووضع الأسس الفكرية
الصلبة لفهم النص الديني بما يناسب
مقتضيات الزمان





هل نحن في حاجة إلى فكر الشهيد مطهري ؟

مجل ما ننتهي إليه : أن الشهيد مرتضى مطهري

صاحب مشروع حضاري نبيل.

سعى رضوان الله عليه في مجال الفكر الإسلامي إلى استنهاض الأمة، وتطهير الأفكار من رواسب الانحرافات الدخيلة عن الإسلام الأصيل، وتقديم الإسلام بشكل عصري يستجيب لمتطلبات الواقع. فكان صاحب فكر إسلامي عميق ومتحرر من قيد الجنس أو المذهب، وإن لم يتخل عنهما نقدي جري لا يبالي أن يقتحم على الحاكمين والمحكومين مواطن الضعف والخور ليعريها ويجد لها الدواء الناجع عالمي منفتح حيث حلق في بحوثه ودراساته شرقا وغربا، طائفا بالفلسفات القديمة والحديثة، ومتصلا بثتى الثقافات والعلوم الإنسانية (اجتماعية، نفسية، تاريخية، فقهية وأدبية) والتجريبية (فلك، كيمياء، فيزياء....) سعيا منه إلى تقديم الإسلام كنظام متكامل للحياة. فاستطاع بذلك أن ينقل الفكر الإسلامي إلى مستوى الدعوات العالمية والمعاصرة. وهما صفتان تنوب بفضلهما كل الفوارق المذهبية وتتحسر كل النعرات الطائفية.

سعى كذلك في مجال الفقه إلى إخراج المقولات الفقهية من كهف الجمود والركود وضح فيها روح الحركية والتفاعل الجدلي مع الزمان والمكان؛ وإلى مراجعة جذرية للمفهوم العتيق للاجتهد وتعويضه بمفهوم جديد لصيق بالواقع ومتكامل مع العقل. فكان

بذلك صاحب فقه إسلامي مترفع عن الفوارق المذهبية والنزاعات الطائفية قادر على التنقل السلس بين مختلف المدارس الفقهية مستوعب لجميع الاختلافات المذهبية ومحولا إياها إلى عامل بناء يدفع لاستجلاء الحقيقة.

بذلك يكون، رضوان الله تعالى عليه، رائداً في مطلب بناء جسور الاتصال والتواصل بين جميع المدارس الفقهية. وما دعواه لتكوين " مجالس فقهية " تضم كبار علماء وفقهاء المدارس الإسلامية المختلفة إلا حلا علميا وعمليا للتوحيد بين المذاهب ولنبدذ التعصب والفرقة بين المسلمين.

تبقى مسألة أخرى جديرة بالاهتمام وجديرة بالإشارة إليها مسألة لها علاقة بالجانب الثوري الاقتحامي في فكر ومنهج مطهري. فقد كان الشهيد ممن يؤمنون بالتغيير الاجتماعي في المنظور الإسلامي، وأن هذا التغيير لا يمكن أن يتحقق دون ثورة شاملة تطيح بالدكتاتور وبالديكتاتورية ... لكن هذه الثورة لا يمكن أن يكتب لها النجاح والبقاء، ولا يمكن أن تصل بالثائرين إلى بر الأمان إلا إذا رافقتها وأزرتها نهضة فكرية عميقة وشاملة تقدم البديل الإسلامي في جميع مجالات الحياة دون انفصال ولا تمفصل عن الواقع والعصر. يقول رضوان الله تعالى عليه : " ... كل نهضة اجتماعية يجب أن يكون لها سند من نهضة فكرية وثقافية، وإلا فسوف تقع في فخ التيارات التي تملك ثروة فكرية، وتتجه نحو هذه التيارات فتغير مسارها. وقد رأينا أن الجماعات

الفارغة من الفكر الإسلامي كيف سقطت كالدبابة في أوتار بيت العنكبوت " (13).

من جهة أخرى، لو دققنا النظر في أحوال الأمة الإسلامية لاتضح أن جسدها تنهشه أربعة أخطار رئيسية : الاستكبار العالمي المتربص بالأمة ليقضي على كل محاولة للنهوض الحضاري والسالك في سبيل ذلك كل الأساليب القذرة مغتربون من أبناء الأمة تربوا في أحضان الغرب فأصبحوا يسبحون في فلكه فكرا وثقافة وسلوكا ويرفضون ويعادون كل ما هو موصول بالإسلام عملاء وخونة وسفاحون تذلوا للإمبريالية فزرعتهم جرائم تنخر جسد الأمة وحكمتهم رقاب العباد وقلدتهم أعلى مناصب البلاد متحجرون في الدين ورجعيون في الفكر وسطحيون في الرؤية، تمسكوا بتأويلات جامدة عتيقة، والتزموا بخط ماضي، وبرؤى قديمة تتعارض مع متغيرات الزمان، تتصدى لكل جديد وتحارب كل إصلاح وتجديد.

استفحل أمر هذه الأخطار بعد ثورات " الربيع العربي " حيث تحررت من قيودها فصارت كالفنابل الموقوتة.

في ظل هذه التحديات والأخطار المحيطة بالأمة، وبناء على ما يمكن جنيه من ثمار تراث الشهيد، يصبح فكر مرتضى مطهري، وفقه مطهري، ومنهج مطهري، وطرح مطهري، ورؤى مطهري

(: راجع أيضا مقال بعنوان " الشهيد مطهري وإحياء الفكر الإسلامي "؛ أ محمد علي (13) أنرشب، ثقافتنا، العدد 6

بالنسبة للأمة ضرورة وليس خيارا دواءا وليس ترفا نعم، إن في فكر ورؤى مطهري، رضوان الله عليه، دواء ناجع لما تعاني فيه الأمة من أمراض، وحلول أصيلة لما تعترضها من مصاعب ومعوقات، وبدائل واقعية لما تبحث عنه.

ما أوج أمة الإسلام اليوم في عصر يتنامى فيه المنهج المتحجر مستبدلا الانفتاح والحركية بالانغلاق والركود، وتتعاظم فيه مؤامرات الخارج وانتهازية الداخل للركوب على مستحقات الشعوب الثائرة مقللة من شأن الإسلام وقادحة في قدرته على رفع التحديات وتقديم البديل المناسب ما أوج أمة الإسلام إلى الشهيد مطهري صاحب الفكر العميق المتحرر، وصاحب الفقه التقاعلي المنفتح، وصاحب التكوين الموسوعي الدقيق، وصاحب العمل الدعوب المخلص

من المؤسف أن يظل مفكرا عظيما من طراز مرتضى مطهري، رضوان الله عليه، مجهولا عند مفكري أهل السنة وقليل الفاعلية عند الطبقة الشيعية المثقفة؛ كما أنه من المؤسف أن يظل مفكرا كبيرا من طينة مالك بن نبي، رحمة الله عليه، وهو الذي يعد من أبرز المفكرين المعاصرين الذين اهتموا بقضية الحضارة الإسلامية وانشغلوا بفكرة النهضة، ومن ألمع المجددين الذين لم يكتفوا بتقديم فكر نظري بل تعدى بطرحه مرحلة التنظير ليقدّم إسهامات عميقة،

وأطروحات جدية، وبدائل واقعية وقابلة للتجسيد (14) من
المؤسف أن يظل مجهولا عند مفكري الشيعة وعديم الفاعلية عند
مفكري أهل السنة. أما أن لهذا الخمول والجمود أن يزال ؟ أما
أن لهذا الجليد المصطنع أن يذاب، ولهذه الجدران المصفاة أن
تهدم ؟ ... تهدم بمعاول الفكر المستتير والشهيد مطهري رائده.
لقد بذر الشهيد، رضوان الله تعالى عليه، بنورا في أرض خصبة
وسقاها بعرقه ودمائه الزكية، فلن يموت عندما نحيا فكره وفقهه
ومنهجه ورؤاه لن يموت عندما نواصل السير في الطريق
الذي رسمه وثبته، طريق الأصالة المتجددة والانفتاح الحركي.

(: حول فكر مالك بن نبي راجع أيضا " الحضارة الإسلامية "؛ د. محمد الصادق
14)بوعلاق، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2005

قبسات من بعض أقوال الشهيد مطهري

حان الوقت للرجوع إلى رفع نداء الثقافة الإسلامية الأصيلة في أرجاء البلدان الإسلامية، لنسمع أصوات تكسر سلاسل التعبد والغطرسة، ونشهد اقتدار وازدهار الأمم الإسلامية مرة ثانية

على اثر الثورة الإسلامية ستنبثق الحرية ويليهما تضاد في الأفكار والرؤى من قبيل البحوث الفلسفية والكلامية، في ذلك الوقت سوف لن يجدي السيف حلا لتلك الأزمة والمأزق، وإنما السلاح المناسب لذلك الظرف هو القلم.

كل نهضة اجتماعية يجب أن يكون لها سند من نهضة فكرية وثقافية، وإلا فسوف تقع في فخ التيارات التي تملك ثروة فكرية، وتتجه نحو هذه التيارات فتغير مسارها. وقد رأينا أن الجماعات الفارغة من الفكر الإسلامي كيف سقطت كالدبابية في أوتار بيت العنكبوت .

١
إن تحقق الحرية الاجتماعية دون تحقق الحرية المعنوية ليس من الأمر الميسر والعملية، والداء الذي يعاني منه المجتمع الإنساني في الوقت الراهن هو العمل على تحقق الحرية الاجتماعية دون الالتفات إلى الحرية المعنوية

٢
ومن هنا أصر على الاستقلال الفكري أكثر من الاستقلال السياسي وإسقاط النظام والاستقلال الاقتصادي، والثورة الإسلامية؛ هذه المفاهيم والانجازات الكبيرة لن تصل غلى غايتها ما لم تكن لنا هويتنا الثقافية المستقلة، وفي هذا المجال علينا أن نثبت أن رؤيتنا الكونية ومنظومتنا الفكرية الإسلامية لا تنتمي لا إلى الغرب ولا إلى الشرق؛ ولا تحتاج إلى أي من الطرفين بل هي منظومة فكرية لها كيانها المميز المستقل، الأمر الذي لا يروق لبعض الناس

٣
إن المرأة مدينة في دورها البنائي غير المباشر للتاريخ، لما تحمل من حياء وعفاف وتقوى، وكلما اقتربت من الابتدال والسفور ابتعدت بنفس المسافة عن دورها المهم والأساسي في صنع التاريخ

لابد أن يكون لنا موقف من متطلبات
العصر، وينبغي أن يكون موقفا صحيحا
متسما بالفضيلة وبعيدا عن حدي الرذيلة :
التطرف والجمود

الويل للمجتمع الإسلامي إذا ظهر بينهم
متدينون جامدون، جافون، جهلة، لا يحددون
عن سبيلهم، فيندفعون يعضون هذا وذاك، فأى
قدرة تستطيع أن تقف في وجه هته الأفاعي
التي لا ينفع فيها سحر ولا حيلة، اي روح
واثقة تلك التي تمسك السيف لتتنزل على هامة
أولئك الذين امتلكوا قداسة مبالغة